مدارس بيزنطة بين الاخفاق والتطور(مدرسة القسطنطينية انموذجا)
(٣٣٠م-١١٨٠م)

أ.م.د فضيلة حسن خلف

جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

al_uokly65@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يعد المجتمع البيزنطي من المجتمعات التي تقدس العلم وتعده شيئا ساميا لذا حظيت الامبراطورية البيزنطية منذ عصورها المبكرة بأهم عنصر من عناصر الحضارة والتطور والثقافة الا وهو التعليم العالي الاكاديمي الذي استندت عليه اسس الثقافة البيزنطية وان كانت البواكير الاولى لهذه للحضارة ثقافة هيلينية بحتة، والعلم الذي كان يدرس في جامعة اثينا والاسكندرية وبيروت لكن ذلك لم يتعارض مع ظهور الديانة المسيحية فأصبح التعليم يسير بالاتجاه الذي ترسمه الدولة المسيحية ووفق نظريتها بالابتعاد عما هو وثني وكان لأباطرة بيزنطة دور كبير في احياء المدارس من خلال دعمهم المادي والمعنوي للعلماء واستقبال الطلبة من خارج القسطنطينية، وانتجت المدارس عدداً هائلاً من الفلاسفة والادباء والاطباء واساتذة القانون والكتاب والمؤرخين وكان العمل الاكاديمي يتأرجح بين التوقف تارة والاستمرار تارة اخرى لكن المدارس الديرية والنظامية اثبتت وجودها رغم كل الظروف وبقي العمل بها حتى عصور متأخرة.

الكلمات المفتاحية: (أثينا، الإسكندرية، القسطنطينية، بيروت، الكنيسة).

Byzantine Schools: Between Failure and Development
(The School of Constantinople as a Model)
(330 AD-1180 AD)

Assistant Professor Fadhila Hassan Khalaf

University of Kirkuk/ College of Education for Human Sciences / Department of History

al_uokly65@uokirkuk.edu.iq

Abstract

Byzantine society was one that sanctified knowledge and considered it sublime. Therefore, from its early days, the Byzantine Empire enjoyed the most important element of civilization, development, and culture: higher academic education, upon which the foundations of Byzantine culture were based. Although the early beginnings of this civilization were purely Hellenistic, the sciences taught at the universities of Athens, Alexandria, and Beirut did not conflict with the emergence of Christianity. Education proceeded in the direction set by the Christian state, in accordance with its theory of

distancing itself from paganism. The Byzantine emperors played a major role in reviving schools through their financial and moral support for scholars and the reception of students from outside Constantinople. The schools produced A vast number of philosophers, writers, doctors, law professors, authors, and historians were involved. Academic work oscillated between stagnation and continuity, but the monastic and religious schools proved their worth despite all the circumstances, and continued to operate until later periods. Athens, Alexandria, Constantinople, Beirut, (:Keywords .)Church

مدارس بيزنطة

إنَّ الحضارة البيزنطية التي امتد تاريخها لأكثر من اربعة عشر قرنا ونيف استند التعليم في مقوماته على الارث الكلاسيكي مما خلفته الحضارة الاغريقية من ادب وشعر وعلوم تطبيقية خلدتها الذاكرة اليونانية ،ومما لاشك فيه مدارس اثينا والاسكندرية وانطاكية وبيروت قد انتجت العديد من العلماء والفلاسفة على مختلف مشاربهم من المدن الشهيرة التي احتضنت العلماء في الفترة المبكرة فعدت القسطنطينية وريثة للعلوم الكلاسيكية من ادب وفكر ومن هنا جاء اهتمامها الكبير في انشاء المدارس منذ نشأتها في عصرها الاول ،(جون، ١٩٩٧، ٢٨٧) فبعد اعلان المسيحية دينا رسميا للدولة لعبت المدارس الديرية دورا فاعلا في نشر المعرفة واخذت على عاتقها مهمة نشر الثقافة المسيحية في المجتمع وقد كان للوعاظ من اباء الكنيسة وقساوستها دور في ذلك من خلال ربط المدارس في عجلة الكنيسة فبدأت بنبذ الافكار الوثنية العالقة في فكر المجتمع البيزنطي من عادات وتقاليد واعراف وخلق ثقافة جديدة تلائم روح العصر وقد تضاربت اراء رجال الدين حول التعليم فهناك نفرا من رجال الدين ممن يرون ان العلوم والمعارف الوثنية القديمة هي نوع من الردة الى الوثنية وعلى رأسهم يوحنا فم الذهب (يوحنا فم الذهب :ولد في انطاكية سنة ٣٤٩ م ودرس في مدرسة المدينة فن البلاغة ثم انقطع في احد الاديرة الجبلية ست سنوات عاد بعدها الى المدينة وتم ترسيمه شماسا وكان من الوعاظ البارزين وكتب على مايربو اثنتان وثمانين عظة متنوعة وتم نفي خارج المدينة من قبل الإمبراطور اركاديوس سنة ٤٠٤ وتوفي يوحنا سنة ٤٠٧.) (John, 1956, 1-172) الذي كان يؤكد على التربية السليمة للأطفال المسيحيين ، بينما يرى اخرين لايوجد مبرر يدعو الى الابتعاد عن الثقافة الوثنية فيقول القديس باسيل الكبير في هذا الصدد :علينا ان نبذل كل

جهدنا للنزول الى معترك الحياة المسيحية ويجب علينا ان نخالط ونجالس الخطباء والشعراء، والمؤرخين وغيرهم ممن يمدون لنا يد المساعدة لتثقيف انفسنا ونيل المعرفة.(ولد القديس باسيل في قيصرية(٣٢٤-٣٧٩) من مدن كبدوكيا في اسيا الصغرى ودرس في دراسته الاولية في قيصرية ثم اكمل دراسته في الفلسفة في جامعة اثينا وانخرط في سلك الرهبنة ويدعى باسيل السكير درس في جامعة اثينا للفلسفة ثم عاد الى قيصرية وكرس نفسه للحياة الدينية ودراسة اللاهوت واصبح اسقفا للمدينة.ثم اصبح من اهم اعمدة الكنيسة المسيحية،هسي،العالم البيزنطي،ص٢٨٨.) واعتقد القديس جريجوري النازانيازي ان كل هؤلاء الذين يكون لديهم شغف المعرفة يدركون ان التعليم هو اثمن مانملكه.(ولد جريجوري النازانيازي في سنة ٣٣٠ م في نازيانزوس في اقليم كبدوكيا ودرس مع صديقه المقرب القديس باسيل في قيصرية في جامعة اثينا ودخل الدير ثم اصبح قسا وبعدها تم تعيينه اسقفا في القسطنطينية وكانت له كتابات كثيرة وارتقى الى منزلة عالية في الكنيسة البيزنطية) (عبد الله، ٢٠١٥، ١٢٩) وعليه كان نيل قسط مناسب من التعليم يعد هدفا لكل مواطن بيزنطي ،وكانت تلك المدارس تحت ادارة واشراف الدولة بالتعاون مع الكنيسة وكان الذكور فيعند الخامسة والسادسة يسجلون في المدارس لتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب بادئ ذي بدء وعندما يبلغون سن العاشرة تبدأ مرحلة جديدة من التعلم حيث يتم تركيز المدرسين على دراسة النحو وحفظ الابيات الشعرية وخاصة اشعار هوميروس ويذكر المؤرخ ميخائيل بسللوس انه كان يحفظ الالياذة وهو في سن العاشرة ومتمكنا من شرحها(Aldellis, 2006, 3)، وكان التعليم الديني يرافق التعليم العلماني والتزمت به وتبنته المدرسة الديرية والكنيسة ويقوم رجال الدين (الاكليرس) بتدريس التلاميذ واول مايبدؤون به تحفيظ الكتاب المقدس ثم تأتي بعد ذلك تدريس الالياذة وهي من العلوم الوثنية وقد انكر العديد من رجال الدين التركيز على العلوم الوثنية ويعدونها ردة عن الديانة المسيحية وكان التعليم يشمل الذكور فقط واما تعليم البنات كان يتم على الاغلب في البيوت عن طريق الابوين او على ايدي المعلمين الخصوصيين في الفترة المبكرة من تاريخ بيزنطة فقد تعلمتا شقيقتا القديس باسيل الاصغر القراءة والكتابة على ايدي امهما لان الذهاب الفتيات الى المدارس كان يتعارض مع اعراف المجتمع التي تدعو الى عزل الفتيات في المنازل وعدم اختلاطهن بالرجال، وقد كان متاحا للجميع الا ان هناك بعض الاسر من الطبقة الارستقراطية كانت تدرس اولادها تجلب المعلمين الى المنزل

لتدريس الفتيات فثيوفانو زوجة الامبراطور ليو السادس احضر لها والدها المعلمين الى المنزل لتعليمها الكتاب المقدس والعلوم الاخرى وكانت بنات الامبراطور قسطنطين السابع يديرن بعض الشؤوون الادارية الخاصة بالامبراطور في البلاط اذ كن متعلمات ومن الجدير بالذكر ان الاباطرة في بيزنطة قد ابدوا اهتمامهم بالتعليم الا في بعض الفترات التاريخية الي توقفت فيها العملية التعليمية وخاصة في عهد الامبراطور(الامبراطور باسيل الثاني(٩٧٦-١٠٢٥م) الذي لم يرغب بالاستمرار بفتح المدارس لانه ذو صفة عسكرية ويرى ان المدارس تكلف الدولة اموال كثيرة في وقت كانت الدولة تسخر امكاناتها الاقتصادية والعمليات العسكرية خارج حدود الدولة فاغلقت المدارس في عهده والحقت بالاديرة للتتولى الكنيسة مهمة منح المدرسين الرواتب ولجأت بعض الاسر لاسيما الارستقراطية منها الى التدريس في المنازل باستقدام المدرسين لابنائهم بينما توجه بعض المتعلمين الى مدرسين خصوصين لاشباع رغبتهم في التعليم العالي ودرسوا عند كبار الاساتذة من مختلف الاختصاصات العلمية.(Bréhier, 1950, 431)

مدرسة القسطنطينية

يمكن القول بأن المدارس قد بدأت في الفترة المبكرة من تاريخ بيزنطة على غرار ماهو معمول في المدارس الكبرى التي نشأت في اثينا والاسكندرية وبيروت والتي كانت تدرس فيها العلوم الكلاسكية من فلسفة وشعر وبلاغة وقانون وطب فلك والعلوم الطبيعية، وكان الطلاب يقصدونها من كل حدب وصوب طلبا للعلم، وبعد ان اسس الامبراطور قسطنطين الكبير مدينة القسطنطينية تطورت الحركة التعليمية ولاقت دعما غير محدود من قبل الامبراطور وعمل على انشاء مدرسة القسطنطينية في الرواق سنة (٣٣٠م) وبدأت تزاحم مدارس المدن الكبرى كمدرسة اثينا وبيروت في عدد المدرسين والطلاب واصبحت مركزا للتعليم المتقدم اي التعليم العالي لان المتقدمين للدراسة كانوا اكبر سنا من التلاميذ وهم ممن يبلغون سن السادسة عشرة فما فوق، وفي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي توسعت مدرسة القسطنطينية وتم نقلها الى بنايتها الجديدة التي قام بأنشائها الامبراطور قسطنطينيوس في على احد تلال مدينة القسطنطينية وهو مايعرف بقصر الكابيتول بعد ان نقلها ابنه الامبراطور قسطنطينيوس لتكون نواة لجامعة القسططنطينية في المستقبل واخذ التدريس فيها يأخذ نمطا اخر فكان التركيز على تدريس علم اللاهوت بالدرجة الاولى لنشر التعاليم المسيحية لاسيما

وان المدارس الاخرى في مقاطعات الامبراطورية لازالت الدراسة فيها ثم يأتي علم الفلسفة والقانون والفلك والرياضيات، وكان البعض من اساتذتها لازالوا على الديانة الوثنية لكن الامبراطور قسطنطينيوس هو من دعاهم للتدريس في الجامعة لأجل رفد المدرسة بالكفاءات العلمية مثل ليبانيوس وثيمستيوس وكان الاخير على مدينة محافظا للعاصمة القسطنطينية في سنة (٣٤٤م) فلم يرى الامبراطور قسطنطين بدا من ان يستعين بالخبرات العلمية التي انتجتها جامعة اثينا وان كانت الديانة الوثنية لازال يدين بها البعض فالأغلبية من علماء بيزنطة في عصرها الباكر كانوا قد اكملوا دراستهم العليا في مدرسة اثينا والاسكندرية، وبعد فترة الاستقرار التي شهدتها مدرسة القسطنطينية اصابتها انتكاسة اثناء تولي الامبراطور جوليان (٣٦١-٣٦٣م) (جوليان المرتد هو من عائلة الامبراطور قسطنطين الكبير درس في جامعة اثينا وافسوس وتشبع بالثقافة الهيلينية الوثنية وخاصة الفلسفة كان من رفاق القديس باسيل وجرجوري النازانيازي في رحلة العلم في جامعة اثينا لكنه رجع عن المسيحية واصبح من اشد اعدائها وعمل على طمس كل ماهو مسيحي الا ان حكمه لم يدم طويلا اذ قتل وهو يحارب الفرس وكان هو اخر فرد من اسرة قسطنطين الكبير واخر حاكم وثني في الامبراطورية البيزنطية)، (دونالد، ٢٠٠٣، ١٠٠) حكم بيزنطة واغتصابه العرش فقد ارتد جوليان عن الديانة النصرانية ورجع الى الالحاد والوثنية واصبح معاديا للنصرانية واخذ ينكل بكل ماهو نصراني من قساوسة وبطاركة ورهبان ممن يعملون في كمعلمين في المدارس وتحفيظ الطلاب الكتاب المقدس،(Theophanes, 1997, 82) واعطى اوامره بإلغاء تدريس مادة اللاهوت في المدارس كي لايفسدوا افكار وعقول التلاميذ من الاجيال القادمة بالأفكار المسيحية التي تتقاطع مع افكاره في الالحاد واعاد المعلمين الوثنيين واغدق عليهم بالهبات والاموال ،(مجهول، ٢٠٠٨، ٦٨) فمدرسة القسطنطينية لم تتميز او تأخذ الصفة الاكاديمية الا في عهد الامبراطور ثيودسيوس الثاني(٤٠٨-٤٥٠)(جلس على كرسي العرش ولم يتجاوز الساعة من عمره بعد وفاة والده الامبرطور اركاديوس سنة٤٠٨ ووضع تحت مجلس الوصاية واصبحت اخته بولشاريا وصية عليه فوقع تحت تأثيرها وزوجها وهي من تولت الحكم نيابة عنه وكان ثيودسيوس منغمسا في الاطلاع والقراءة محبا للثقافة والعلم) فعمل على تطويرها وفتحت بشكل رسمي السادس والعشرين من شهر شباط سنة (٤٢٥م) وبنفس مقرها السابق في قصر الكابيتول وتوسع قبول الطلبة وبدأت تستوعب اعداد من الطلبة من

ارجاء الامبراطورية للدراسة فيها وكانت تضم (٣١ كرسيا) (١٦ كرسيا يونانيا) و(١٥ كرسيا لاتينيا) وموزعة حسب المواد الدراسية كالتالي: (النحو ١٠ يوناني ،١٠ لاتيني، البلاغة ٥ يوناني ،٣ لاتيني، القانون كرسيان لاتينيان، وكرسي واحد فقط للفلسفة يوناني) يدرس فيها المرشحون التخصصات العلمية بمختلف اصنافها وبعد اتمام سنوات الدراسة يتم اختبار علمية المرشحين للتدريس ويجري اختبارهم امام مجلس الشيوخ وعند منحهم الشهادة يتم تعيينهم مدرسين في المدارس ويتم منحهم مرتبا سنويا تقديرا لجهودهم التعليمية، وفي المستقبل، يصبحون موظفين من الدرجة الاولى. تعيين ثلاثة من الخطباء وعشرة من النحويين اللاتينية ومثلهم للغة اليونانية وفي الواقع كان الكادر التدريسي في مدرسة القسطنطينية من االهلينيين الوثنيين وظلت لغة التدريس باللغة اليونانية واللاتينية حتى القرن السابع للميلاد.

ولعبت ايودوكيا زوجة ثيودسيوس الثاني دورا كبيرا في تطوير مدرسة القسطنطينية واصبحت تحت الاشراف الامبراطوري ونالت اهتمام الامبراطور ودعمه وكان ذلك بتأثير زوجته ايدوكيا فهي امرأة متعلمة وذات ثقافة عالية والدها استاذ النحو والبلاغة في مدرسة اثينا وقد نشأت وتشربت بالثقافة اليونانية فضلا عن تحمسها الشديد لنشر الديانة النصرانية فعملت على تكريس دراسة اللاهوت للطلبة العلم بشكل مكثف من خلال الاستعانة برجال الدين من القساوسة والرهبان للعمل كمدرسين ومنحهم الرواتب والمكافأت التشجيعية والتعظيمية لخدماتهم كذلك عملت على تدريس العلوم والكلاسيكية والعلوم الاخرى التطبيقية والعلوم الصرفة والقانون فنشأت وتطورت الحركة العلمية والفكرية في بشكل واسع لم يشهد لها مثيل في كل العصور البيزنطية وكان نتيجة ذلك ان اصدر ثيودسيوس الثاني مجموعته القانونية الكاملة وشملت كل القرارات والمراسيم الامبراطورية منذ عصر قسطنطين الكبير فكانت مصدراً مهما وكبيراً لدراسة القانون في مدرسة القسطنطينية وسميت بالمجموعة القانونية الثيودسيوسية، فانتعشت العلوم في هذا العصر هذا الامبراطور واخذت تنافس مدرسة الاسكندرية واثينا وبيروت وضمت مدرسة القسطنطينية على مكتبة ضخمة اسسها الامبراطور جوليان المرتد جمع فيها كل الكتب الكلاسيكية التي تعود للحضارة اليونانية القديمة بما يقارب مائة وعشرون الف مجلد وواصلت نشاطها على هذا النهج من التطور العلمي والثقافي فقد رفدت البلاط بالكتاب الاداريين والمترجمين والخبراء في القانون فضلا عما كانت تنشره من ثقافة في المجتمع

البيزنطي وبقيت مدرسة القسطنطينية تسير على هذا النهج من التطور الى ان جاء عصر جستنيان الاول (٥٢٧-٥٦٧م) ففي عهده توقف الحياد النسبي الذي اتخذه الاباطرة والكنيسة تجاه الحركة العلمية والثقافية فقد اصدر مجموعة من القوانين التي اصدرها لتنظيم العمل داخل الدولة وصب جل اهتمامه على التعليم وقد اصابت مدرسة القسطنطينية فتعثرت الحركة العلمية فأصدر امرا بابعاد المدرسين الوثنيين واوقفهم عن العمل في مهنة التدريس في المدرسة واقتصر على المدرسين المسيحيين وامر بمنع تدريس الفلسفة وعلم التنجيم والفلك وكل علم له صلة بالثقافة الهلنستية (Watts, 2004, 182-186) واقتصر التعليم فقط على تدريس القانون وفي اخر المطاف قام بقطع رواتبهم ومنع عنهم الهبات والمكافئات بعد ان اشتدت حركة الهرطقة في عصره(Vinning, 2006, 98) ثم اصدر قانونا سنة (٥٢٩م) بغأغلاق مدرسة اثينا بكافة فروعها العلمية والفلسفية وعدها مركزا امشر الوثية في الوقت الذي كانت الديانة النصرانية قد انتشرت بشكل كبير في كافة ارجاء الامبراطورية بمنع التدريس في جامعة اثينا واغلاقها اغلاقا تاما ومصادرة اموالها باعتبارها مركزا لنشر الوثنية في المجتمع المسيحي وذلك لتناولها العلوم الفلسفية للفلاسفة الاغريق وتدريسها علوم الادب من فقه ونحو ونثر وشعر ولاسيما اشعار هوميروس وكتاب الالياذة الذي كان يحفظ من قبل الطلاب ،(Malalas, 1831, 451) واخذ بملاحقة العلماء من الفلاسفة مما اضطرهم للهروب الى بلاد فارس لطلب الامان من اكاسرتها، وقد اهتم جستنيان بصورة خاصة بالقانون واصدر امرا اقـر بموجبه على جمع القوانين في مجموعة كاملة اطلق عليها الدساتير الجديدة. او مايطلق عليه بالمختار وتضمن خمسين كتابا احتوت القوانين الصادرة منذ عصر الامبراطور هادريان حتى عصر جستنيان مما استصعب على طلبة القانون دراسته فعملت اللجان على تجزئته الى شرائع ليتم استيعابه في الدراسة من قبل طلبة القانون.(الشامي، ٢٠٠٢، ٦٩) احتلت مدرسة القسطنطينية مركزا مرموقا بين المن المدارس الاخرى على الرغم من قوانين جستنيان الجائرة التي حددت المواد الدراسية لكنها تفوقت في دراسة الطب والقانون واستبقت طلاب العلم من دول اوربا الغربية من القوانين الجائرة التي اصدرها جستنيان والتي قيدت فيها التعاليم الجامعية وحددت المواد العلمية التي سمح بدراستها لاسيما بعد الدمار الذي حل بجامعة روما بعد احتلال روما من قبل الهون وقائدهم توتيلا(٥٤٦-٥٥٤م). وحدد قانون جستنيان مدة الدراسة في كلية القانون من ٤-٥

سنوات وحاز طلبة المراحل الخمسة على القاب تطلق عليهم على التوالي فكان لقب المرحلة الجامعية الاولى Iustiniani والسنوات الاربع الباقية نالت الالقاب التالية ,Edictales Papinianistae, Lytae, Prolytae.

وفي فترة حكم طبيريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٣م) استمرت حركة تطور التعليم ونستدل على ذلك مما وجدنا من اهتمام الامبراطور بالعلماء وتقديره لجهودهم في نشر العلم والمعرفة، من خلال مكافأة رطبيريوس لاستاذه استاذ الفيزياء زكريا وتكريمه ومنحه لقب الحاكم الفخري عرفانا منه لأستاذه القدير.

في عصر الامبراطور فوقاس المغتصب (٦٠٢-٦١٠م) تعطلت العملية التعليمية والدراسة في البلاد بسبب ما شهدته القسطنطينية من عواصف سياسية ودينية ومما اصابها من حروب داخلية اثرت بشكل سلبي على نظام التعليم (Ostrogrosky, 1968, 77) وقد عرف عن فوقاس بأنه كان صارما في حكمه للبلاد ناقما على العلماء والفلاسفة والطبقة المثقفة،(نقفور، ٢٠٠٧، ٥٧) فعمل على اغلاق مدرسة القسطنطينية بالكامل والغاء المدارس في المدينة وبقي التعليم متوقفا واصبح مقتصرا على الحلقات الدراسية التي يقوم بها المدرسين في المنازل للطلبة الراغبين بتلقي العلوم او ماتقوم به الاديرة من جهود في تدريس التلاميذ داخل الاديرة وهو على الاغلب تعليم ديني للمنتمين الى الدير من الذكور والاناث بقصد اعتناق الحياة الرهبانية وبقي التعليم على وضعه المتردي حتى جلوس الامبراطور هرقل على عرش بيزنطة (٦١٠-٦٤١م) وانتهاء عصر الفوضى الذي صاحب عصر فوقاس، ففي هذا العصر تبنت الاديرة مهمة التعليم وحتى المدرسة التي انشأها هرقل اصبحت تحت اشراف الكنيسة فأظهرت بعض الاديرة اهتماما بالتعليم العلماني لطلبة العلم ودرسوا على يد كبار العلماء والفلاسفة ممن ينتمون للدير ولاقت هذه الخطوة نجاحا كبيرا في مجال التعليم العالي من خلال تدريس العلوم المختلفة كالفلسفة والادب وتخرج من الدير فلاسفة ومفكرين وموظفين للبلاط الامبراطوري وبرز دير ستوديوس(دير ستوديوس: انشأ هذا الدير في نواحي القسطنطينية في ساكوديون بالقرب من جبل أوليمبوس في بيثينيا تبرعت ببنائه احدى العوائل الارستقراطية، وساكوديون هي ملكية عائلية خاصة واصبح سليل العائلة الراهب ثيودور الاستيودي رئيسا للدير في سنة ٧٨١م واخذ الدير مهمة التعليم واشتهر شهرة واسعة في المجتمع البيزنطي في

عصر الامبراطورة ايرين.)، (Louth, 2007, 110) وكنيسة الرسل وكنيسة الاربعين شهيدا من بين الاديرة والكنائس التي اخذت على عاتقها مهمة التعليم العلماني الى جانب التعليم الديني لكن التعليم في هذه الكنائس ،وقد واجه التعليم في هذه الفترة تحديا من قبل بعض المتطرفين والمتشددين من اباء الكنيسة في القسطنطينية وكان الهدف من هذا التضييق الغاء التعليم العلماني وزادت شكوك الكنيسة وريبتها من العلوم التي تعود للعصر الوثني والخلط بينها وبين العلوم الدينية وخاصة الادب والفلسفة مما يؤثر على المعتقدات المسيحية وكان لاراء رجال الدين تأثير كبير في زرع بذور الصراع الديني العلماني فانحسر التعليم وشهد ركودا في القرن الثامن واضمحلت مدرسة القسطنطينية ولم تنهض الا في عهد الامبراطورة ثيودورا ارملة الامبراطور ثيوفيل (٨٢٩-٨٤٢م) (المفرجي، ٢٠٢٢، ٣١٨)الذي عهد اليها بالوصاية على ابنه ميخائيل الثالث ذو السنوات الست،(Skylitzes, 2010, 82) اذ شهدت بيزنطة في عهد هذه الامبراطورة استقرارا سياسيا واقتصاديا وثقافيا اذ امرت بإعادة فتح مدرسة القسطنطينية وساعدها في ذلك شقيقها القيصر بارداس فقد كان شخصا محبا للعلم والمعرفة ولاقت فكرة فتح الجامعة قبولا من قبل الامبراطورة واتخذ بارداس مقرا جديدا للمدرسة وهو قصر الماجناورا وسمح للعلماء والمفكرين الالتحاق بالمدرسة واعادة العمل فيها كما في عصورها السابقة فأخذ المدرسون يتوافدون اليها والعمل على واحيائها من جديد وحفزت اجراءات بارداس طلبة العلم واخذوا يتوافدون اليها من كافة ارجاء الامبراطورية الواسعة ومنح المدرسين رواتب ومكافأت لتشجيعهم على مواصلة التدريس وكان الطلاب يتلقون الدعم المادي من الحكومة، وكان تدرس في المدرسة العلوم الدينية المسيحية الى جانب العلوم الاخرى كالفلسفة والقانون وعلم الفلك والطب والنحو والبلاغة والشعر بالإضافة الى العلوم الكلاسيكية فانتعشت في هذه الفترة الحركة العلمية والفكرية في بيزنطة وتلقى الطلبة دروسهم على يد نخبة من العلماء من بينهم ليو الرياضي(ليو الرياضي: ولد في قرية ثيسالية من ضواحي العاصمة القسطنطينية عام (٨٠٠م) وتلقى دراسته الاولية بما فيها القواعد والعروض في مدارسها، ثم رحل الى جزيرة اندروس ليكمل تعليمه العالي على يد احد المدرسين بتخصص الفلسفة والرياضيات وكان يتنقل من دير الى دير ويتردد على المكتبات وفي بعض الاحيان يتقاعد في الجبال منغمسا في تأملاته وهكذا تعلم جميع العلوم بطريقة شاملة وبعد ان انهى دراسته عاد الى القسطنطينية ليتولى مهمة تدريس الرياضيات والفلسفة واكتسب شهرة واسعة بمهنة

التدريس حتى لقب بليو الرياضي حتى سمع به الامبراطور ثيوفيل وعينه رئيسا لأساقفة تسالونيك ثم عينه القيصر بارداس استاذا لكرسي الفلسفة في الجامعة في قصر الماجنور ومشرفا على كراسي الهندسة والفلك) والعالم الفيلسوف فوتيوس(ينتمي فوتيوس الى احدى الاسر الارستقراطية في مدينة القسطنطينية ويعد من اشهر علماء العصور الوسطى وكان عالما موسوعيا وله مؤلفات عدة في التاريخ والفلسفة والادب والطب والفلك وعلم اللاهوت وقد عين بطركا للقسطنطينية لمرتين وكانت له عظات دينية كثيرة)، (Photius, 1958, 41–54) وشهدت البلاد نهضة علمية واسعة في القرن التاسع للميلاد وقد كان لأباطرة بيزنطة دور كبير في تطور واخفاق التعليم فمنهم من يرى ان نشر العلم والثقافة ضرورة حتمية في المجتمع الى جانب الوعي الديني وان وجود المدرسة ورفدها بالعلماء والاساتذة من صلب مهام الدولة فكانت عملية استمرار التعليم مناطة برغبة الاباطرة ومدى رغبتهم بنشر المعرفة وشغفهم بالثقافة فنجد ان الامبراطور قسطنطين السابع كان محبا للعلم ومشجعا له وعمل على استقدام الاساتذة ورفد المدرسة بخيرة المدرسين وكان يهدف من وراء ذلك نشر الثقافة والعلم في المجتمع البيزنطي واصبح بلاطه يعج بالفلاسفة والعلماء والمؤرخين،(عمران، ١٩٨٠، ٣٨) لأنه كان على درجة عالية من الثقافة صدرت له مؤلفات عديدة عن الادارة والحكم وله مؤلف اخر في المراسيم والف كتابا عن الثيمات العسكرية في بيزنطة وازدهرت مدرسة القسطنطينية في عهده وعلت علوا كبيرا استمرت مدرسة القسطنطينية بالعطاء المعرفي بعد عصر قسطنطين السابع حتى عصر فوكاس(٩٦٣-٩٦٩م).

وفي عصر الامبراطور باسيل الثاني(٩٧٦-١٠٢٥م) شهدت اخفاقا كبيرا اوقف عجلة العلم والتطور خلال مدة حكمه التي امتدت مايقارب الخمسين عاما فقد كان باسيل الثاني عسكريا صارما وانشغل منذ بداية عهده بتوسيع حدود الامبراطورية وخاض معارك عنيفة مع البلدان المجاورة، وانه كان محاربا فذا وصاحب عقل متفوق لكنه لم يولي الاهتمام بالعلم اذ لم تكن لديه الرغبة ولا الوقت الكافي للاهتمام بأمر التعليم والمدراس وقد عرف عنه بانه كان شحيحا واكتنز اموال بيزنطة وتسخيرها للعمليات العسكرية لذا استهجن التعليم على الرغم من العدد الكبير من العلماء والخطباء والفلاسفة وكان التعليم متطور ومنتشر بشكل واسع في عصره،(Psellus, 1966, 44) وعلى الرغم من ذلك امر باغلاق مدرسة القسطنطينية بذريعة نفقاتها المتزايدة التي تؤثر على اقتصاد الدولة من اجور

المدرسين ومستلزمات الدراسة للطلبة ويرى ان الافراط في النفقات يسبب الضرر في اقتصاد الدولة ولايعود عليها بشئ ومن يروم التعليم عليه التوجه الى الكنائس والاديرة او يستعين بمدرسين خصوصيين وبجهود شخصية ، ولجأ بعض من العلماء الى عقد حلقات علمية خاصة بطلاب العلم وفي حوالي ١٠٢٨ انشأ الفيلسوف يوحنا موروبوس مدرسة خاصة في القسطنطينية على على حسابه الخاص وجعل التعليم فيها مجانيا لطلبة العلم ، وتتلمذ على يده ثلاثة من اهم الشخصيات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر وقد كان التلاميذ الثلاثة المؤرخ والفيلسوف ميخائيل بسللوس وقسطنطين دوكاس الذي اصبح امبراطورا وقسطنطين ليكابيوس الذي عمل وزيرا في البلاط فكان تعليق العمل بمدرسة القسطنطينية في رأي الامبراطور ضرورة حتمية. اما في عصر الامبراطور رومانوس الثالث ارجيروس (١٠٢٨-١٠٣٤)، (رومانوس الثالث ارجيروس: كان يشغل منصب حاكم القسطنطينية وهو من اسرة ارستقراطية عريقة لم يكن ينتمي بنسبه للاسرة المقدونية لكن زواجه من الامبراطورة زوي سليلة الاباطرة المقدونيين رفعه الى عرش الامبراطورية)، فانه لم يقدم على فتح المدرسة على الرغم من ثقافته العالية ودراسته للقانون وحبه للعلم فضلا عن ذلك كان سلكه مدنيا وكان حاكما على القسطنطينية، لكنه لم يقدم للعملية التعليمية شيء فقد بقي التعليم على علاته في طي النسيان بينما استمر طلاب العلم بتوافدون من نواحي الامبراطورية الى العاصمة طلبا للمعرفة ومن بين هؤلاء المرخ ميخائيل اتالياتس يتوجه الى القسطنطينية قادما من مدينته لدراسة القانون عند احد المتخصصين في القانون في اواخر عهد الامبراطور ميخائيل الرابع (١٠٣٤-١٠٤١م) مايدل على توقف عجلة الدراسة في عصر الاسرة المقدونية .

(Attaleiates, 2019, 79)

اما في عصر الامبراطور قسطنطين التاسع(١٠٤٢-١٠٥٥م) فقد اهتم اهتماما كبيرا بالعلماء والادباء والفلاسفة وعمل على اعادة العمل بمدرسة القسطنطينية وفتح ابوابها لاستقبال الطلبة وسعى الى توسعتها بفتح اقسام جديدة تهتم بدراسة العلوم المختلفة كالطب والفلك والهندسة والعلوم الرياضية فضلا عن الكليات التي تدرس فيها علم الفلسفة والقانون والعلوم الكلاسيكية كالأدب والنحو والبلاغة والشعر واللغة اللاتينية واليونانية ورفدها بالعلماء والفلاسفة الكبار وتحملت حكومة البلاط كافة النفقات التي من شأنها رفع مستوى التعليم من رواتب المدرسين والاعانات التي كانت تقدم لطلبة

الجامعة وجعل الامبراطور قسطنطين التاسع موناماخوس من المدرسة مؤسسة اكاديمية علمية ترفد دوائر البلاط والمحاكم برجال مهذبين ومثقفين ثقافة عالية وتوظيفهم في ادارة الامبراطورية بدلا من فئة الموظفين القدماء والذين كانت غالبيتهم من الخصيان والعسكريين، والذين كانوا يتقلدون المناصب الادارية العليا لان قسطنطين كان اصلا من الطبقة الارستقراطية المدنية وكان يهدف الى ابعاد العسكريين عن وظائف البلاط ويسعى الى تصدع جبهة العسكريين و اسند الوظائف المهمة والمرموقة في الدولة لفئة المثقفين من الادباء ودارسي القانون والاخذ بأيديهم لرفع شأن الامبراطورية وبشكل يليق بتاريخها وحضارتها العريقة ونال العلماء في عهده الحفاوة والتكريم الكبيرين وبرز في هذا العصر من العلماء المؤرخ والفيلسوف ميخائيل بسللوس(ميخائيل بسللوس ٤٧١هـ-١٠٧٨م) :هو العالم والفيلسوف البيزنطي الكبير ولد وعاش في القسطنطينية في القرن الحادي عشر وكان علامة بارزة في تاريخ الثقافة البيزنطية عمل استاذا للفلسفة في جامعة القسطنطينية واصبح عضوا بارزا في هيأة المستشارين في البلاط لتمكنه من البلاغة والخطابة وكانا السبب في نجاحه وسرعان ماحصل على مكانة مرموقة في عصر الامبراطور قسطنطين التاسع موناماخوس الذي امتلأ بلاطه بالمفكرين والمثقفين الشباب فتمت ترقيته الى مدرس في قسم الفلسفة في جامعة القسطنطينية ثم رئيسا لكلية الفلسفة في جامعة القسطنطينية. ومن ثم حصل على لقبا فخريا وهو قنصل الفلاسفة لجهوده في اصلاح المناهج الجامعية والتأكيد على دراسة الكلاسيكيات الاغريقية والادب الهوميروسي والفلسفة الافلاطونية بدلا من اللاهوت المسيحي. وقد عمل في البلاط اربعين عاما وعاصر حكم اربعة عشر امبراطورا وترك العديد من المؤلفات والرسائل والخطب))، (Synopsis, 2010, 391) وكان رئيسا لقسم الفلسفة في المدرسة واسند اليه مهمة رئيس الديوان الملكي وهو في الخامسة والعشرين من عمره(رستم، ١٩٥٦، ٧٥) وعالم القانون الكبير يوحنا زفيلينيوس الطرابزوني(يوحنا زفلينيوس: من ابرز رجال القانون في الامبراطورية البيزنطية ، تم اختياره من قبل الامبراطور رئيسا لكلية القانون في جامعة القسطنطينية سنة ١٠٤٥م، لكنه بعد فترة وجيزة اعتزل العمل وفضل الحياة الرهبانية واستقرت حياته في الدير رغبة منه، ومن ثم تم اختياره لمنصب البطريركية في العاصمة القسطنطينية سنة ١٠٦٤م توفي سنة ١٠٧٥م)، (دونالد، ٢٠٠٣، ٦٢) الذي كان عميدا لمدرسة القانون وابقى على العالم والمشرع القانوني قسطنطين ليكوديس(قسطنطين ليكوديس: من رجال البلاط واحد اهم موظفيه

البارزين منذ عهد الامبراطور رومانوس الثالث ارجيروس حتى عصر الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس وكان من الكتاب والخطباء البارعين في كتابة الرسائل وعمل مدرسا في جامعة القسطنطينية بكلية القانون)، (المفرجي، د.ت، ٣) في الديوان الملكي الذي كان قد تقلد وظيفة الكاتب منذ عهد الامبراطور ميخائيل الخامس(١٠٤١-١٠٤٢ م)، وبرز في هذا العصر والفيلسوف والعالم يوحنا ماروبوس(يوحنا موروبوس البافلاجوني الاصل قدم الى القسطنطينية في سن مبكر وكان من المثقفين والمهتمين بالتعليم عمل مدرسا للفلسفة بجامعة القسطنطينية وتتلمذ على يده ثلاثة من اهم الشخصيات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر وقد كان التلاميذ الثلاثة ميخائيل بسللوس وقسطنطين دوكاس الذي اصبح امبراطورا وقسطنطين ليكابيوس الذي اصبح وزيرا رائدا وكان جون موروبوس مصدر الهام لهؤلاء الاصدقاء الثلاثة في الدراسة والتميز، وكان موروبوس خطيبا مفوها وجريئا وناصحا للامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس من خلال خطاباته السياسية المؤثرة وقد تم تعيينه بمنصب المطران لدير اوشايتا خلال الفترة (١٠٥٠-١٠٧٥) ثم انسحب بعد هذا التاريخ الى دير برودروموس في القسطنطينية حتى وفاته ١٠٨١م)، (Mauropus, 1990, 11-101) استاذ الفلسفة في مدرسة القسطنطينية وكان بارعا في فن الخطابة وعلم الطبيعة والرياضيات وعلم المنطق، ولاغرو ان مدرسة القسطنطينية قد واكبت التقدم العلمي في هذه الحقبة من الزمن ولاسيما في عصر الاسرة الكومنينية فقد اولى الامبراطور الكسيوس كومنين الاول وخلفائه عناية هامة بالتعليم بشكل عام، فأنشأ داراً للأيتام واشرف عليه بنفسه(الالكسياد، ٢٠٠٤، ٤١٣) واهتم بمدرسة القسطنطينية بشكل خاص من خلال رفدها بكوادر مثقفة من العلماء والمدرسين وتقديم العون المادي للطلبة والمدرسين لنشر الثقافة في المجتمع البيزنطي وبقيت جامعة القسطنطينية صامدة ورفدت المجتمع بالعديد من المثقفين والمتعلمين حتى سقوط القسطنطينية في ايدي اللاتين سنة ١٢٠٤.

النظم الجامعية والاكاديمية

من المعروف ان مدرسة القسطنطينية لم تكن هي المدرسة الوحيدة على مستوى الرقعة الجغرافية الواسعة للإمبراطورية البيزنطية بل كانت هناك مدارس كبرى تضاهيها المكانة مثل مدرسة اثينا ومدرسة الاسكندرية ومدرسة بيروت ونطاكية وهما اللتان بقيتا من العصور الوثنية فكان من الطبيعي

ان تسير وفق النظم المعمول بها في المدارس الاخرى فيما يخص المدرسين والطلبة والحياة داخل اروقة الجامعة فالمواد الدراسية التي كانت تدرس هي القانون والطب وكلية الآداب التي تضم اقسام علمية مختلفة كاللغة وآدابها من شعر ونثر وخطابة وفلسفة وهندسة وعلم اللاهوت والعلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء والرياضيات وكانت اللغة المتداولة في التدريس بصورة رسمية هي اللغة اليونانية ثم اضيفت اللغة اللاتينية لانضمام عدد كبير من طلبة العلم من البلدان الاوربية للمدرسة.

وكانت الدراسة فيها مجانية وتستقطب جميع الطلبة من كافة طبقات المجتمع ويتم قبول الطلبة من عمر السادسة عشر في جميع الكليات باستثناء مدرستي الطب والقانون اذ يتوجب على الطالب ان يكون في سن متقدمة مقارنة مع طلاب الدراسات الاخرى لان الدراسة في هاتين المدرستين تتطلب شيئا من الادراك والنضج،(توفيق، ١٩٧٧، ٣٤) وكان الاقبال على دراسة القانون والطب بشكل كبير لأنها تعد من المهن المربحة في المجتمع البيزنطي فيقبل عليها الطلبة القادرون ماديا لان تكاليف الدراسة فيها كانت باهضه وتتطلب شراء الكتب والمصادر،(فرج،١٩٨٣، ٩٨)

اما عن الزي الذي كان على الطلبة ارتداؤه فقد فرضت القوانين الجامعية زيا خاصا بالطلبة وكانت تفرض عليهم غرامات مالية المخالفين، اما المدرسين فكانت لهم ازيائهم الخاصة والمميزة وهي عبارة عن ارواب او عباءات سوداء وكان عليهم الظهور بها في المناسبات والاحتفالات لتشير الى المكانة العلمية للأستاذ بل انه محرم على الاساتذة بعض الاوضاع الخاصة بالملبس كالأكمام الواسعة او لبس الجوارب الملونة وغيرها من المظاهر التي تعد خروجا عن حدود اللياقة والحشمة بحسب اللوائح الانضباطية.(يوسف، د.ت، ٧٤-٧٥)

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة توصلت الباحثة الى خلاصة البحث وهي كالتالي:

١. إنَّ بيزنطة اليونانية بدأ التعليم فيها في وقت مبكر قبل اعلان المسيحية وانتشارها مما يدل على نمو الفكر حتى وان جاء في زمن الوثنية والمتمثل في مدرستي اثينا والاسكندرية وبيروت.

٢. كان المجتمع البيزنطي محبا للعلم والاصرار على التعليم الجامعي على الرغم من الاحباط الذي كان يواجهه المجتمع من قبل الحكومات المتعاقبة.

٣. كان استمرار وتطور المدرسة خاضعا لرغبة حكام بيزنطة وآرائهم المتقلبة في حبهم للعلم او ابتعادهم عنه لاسباب خاصة بهم.

٤. على الرغم من تعثر المدرسة وركودها في فترات معينة من الحقبة التاريخية الا ان دورها بقي مؤثرا في المجتمع البيزنطي ورفدته بطاقات متميزة وكفاءات علمية وبروز اسماء لامعة من الفلاسفة والعلماء

٥. حرص طلبة العلم على مواصلة دراستهم عند تعليق عمل المدرسة باللجوء الى الحلقات الدراسية العلمية التي يديرها العلماء في منازلهم.

٦. استمر العمل بمدرسة القسطنطينية كمؤسسة تعليمية وتركت بصماتها على المجتمع البيزنطي واصبحت قبلة لطلبة العلم من خارج حدود الدولة البيزنطية.

المصادر والمراجع العربية والمعربة

١. انا كومنينا ،الالكسياد، (٢٠٠٤) ترجمة حسن حبشي، المجلس الاعلى للثقافة مصر.

٢. البطريرك نقفور، (٢٠٠٧)، التاريخ المختصر، نقله الى العربية وعلق عليه: هاني عبد الهادي البشير،دار النهضة العربية.

٣. رنسيمان، ستيفن،(١٩٩٧)، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد،ط٢ القاهرة.

٤. السلطاني، علي سلطان، وليم الصوري مؤرخا للحروب الصليبية، العدد ٣/ مجلد ١٥ مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية،

٥. الشامي ، فاطمة قدورة،(٢٠٠٢) الحضارة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت.

٦. عبد الله، محمد زايد،(٢٠١٧) مصادر تاريخ العصور الوسطى(التاريخ البيزنطي) القاهرة.

٧. عمران، محمود سعيد،(١٩٨٠) ادارة الامبراطورة البيزنطية للامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، القاهرة.

٨. فرج، وسام عبد العزيز،(١٩٨٣)، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، الاسكندرية.

٩. مجهول،(٢٠٠٨)، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق وتعليق: طارق منصور، تقديم زبيدة عطا،القاهرة.

١٠. المفرجي، فضيلة حسن،(د.ت) المرأة في فكر وحياة المؤرخ ميخائيل بسللوس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، جامعة كركوك،العدد/٢ مجلد ١٧.

١١. نيكول، دونالد،(٢٠٠٣) معجم التراجم البيزنطية، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة.

١٢. هسي،جون، (١٩٩٧)، العالم البيزنطي،ترجمة: رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

المصادر والمراجع الاجنبية

1. Aldellis,Anthony,Mother and Sons,Fathers and Daughters, (2006)The Byzantine family of Michael Psellos,eduited and translated by Kaldellis Anthony,university of Notre Dame.
2. Barber,Charles&J.David,ReadingMichael, (2006) Brill,Leiden,Boston.
3. Bréhier, Louis,(1950) La civilisation byzantine, Éditions Albin Michel, Paris
4. Dimitris Krallis,(2019) of Michael Attaleiates,edu by, , University of Florida
5. John Chrysostom,(1956) Homilies on the Epistles of st. Paul the Apostle toGalatians,trans,C.Alexander,NPNF 13,Michigan
6. Libellus,ed,B.Wasiliewsky& V.jernted,(1965)Amsterdam.
7. Louth, (2007)Andrew Greek East and Latin the Church AD 681-107,New York.
8. Malalas, Jean Chronographie,ed.L Dindorf, Berlin, 1831, XVIII.
9. Malalas,(1831) Jean Chronographie,ed.L Dindorf, Berlin
10. Mauropus, John,(1990) The Letters of John Mauropous Metropolitan of Euchaita,trans,A.Karpozilos,,CFGB39,Thessalonike.
11. Menandre le Protecteur, Fragments, éd. Müller, F.H.G., IV.
12. Michael Attaleiates, Serving Byzantium’s Emperors The Courtly Life and Career
13. Ostrogrosky.G.(1968) History of the Byzantine state.translated by Joan Hussy.

14. Photius,(1958) The Homilies,trans.C.Mango.Harvard University Press,Cambirdge and Massachusetts.
15. Psellos, Michael(2005) the Encomium of His Mother trans:Jeffrey Walker, ,Whetoric& Writing,University of Texas.
16. Psellos, Michael, (2006) Mother and Sons,Fathers and Daughters,The Byzantine family of Michael Psellos,edited and translated by Kaldellis Anthony,university of Notre Dame.
17. Psellus, Michael,(2017) The Letters of Psellos, Edited by Michael Jeffreys& Marcd Lauxtermann, Oxfurd University press.
18. Psellus,Michael,(1996) Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia,Trans,by:R.R.Sweter,New York Penguine.
19. Skylitzes,(2010) John,A.Synopsis of Byzantine History 811-1057,Translated by JohnWortly,with Introductions by Jean-Claude,Cambridge University Press.
20. Stephenson,Paul,(2010) The Byzantine World,London.
21. Theophanes.(1997) The Chronicle of Theophanes Confessor Byzantine and Near Eastern A.D. 284-813,Trans with Introduction byCyril Mango and Roger Scott,Clarendon Press,Oxford.
22. Vinning,Timothy,(2006) Achronology of Byzantine Empire,introduction,Jonathan Harris,Lodon.
23. Watts,E. Justinan,Malalas, (2004) and the end of Athenian philosophical Teaching in A.D.529" JRS94.
24. Zonaras,(1897) EpitomeHistoriaoum,III,ed.T.Butter-Wobest,CSHB,Bonn.